

فضيلة العفو والصفح



إنَّ من الفضائل الأخلاقية التي لا يصل الإنسان إلى مراتب الكمال دونها، هي صفة العفو عن زلات الآخرين وهفواتهم، وترك الانتقام منهم. وهي من الصفات الإلهية والإنسانية، وعكسها أي الانتقام من الصفات الحيوانية، لذلك نجد أنبياء الله وأوليائه المتّقين الذين يمثّلون بصدق معاني الإنسانية يتّصفون بها. العفو من الصفات الحميدة التي يتحلّى بها الإنسان لأنّها لا تصدر إلا من نفس كبيرة راجحة العقل صبرت على اعتداء الغير وأذاه. الآيات القرآنية والروايات الإسلامية زاخرة في بيان فضيلة العفو والصفح وذم الانتقام. يقول سبحانه: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنْ رَزَقَهُ لَا يَحْرِبُهُ﴾ الطّٰلِغِينَ (الشورى/ 40) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْغَفْرَ عَاقِبَتُكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنَّ صَاحِبَ رُءُوسٍ لَّهُمْ خَيْرٌ لِّصَّاحِبِ رِيسٍ﴾ (النحل/ 126).

يظهر من الآيتين المباركتين الحثُّ على فضيلة العفو وأرجحيّته على المعاقبة بالمثل، فإنَّ العفو قد يكون له إيجابيات أكثر من المعاقبة بالمثل، وذلك حسب اختلاف الأشخاص والحالات.

إنَّ العفو والصفح من أهم الصفات التي جاء بها القرآن الكريم، والتي كانت من أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن جملة خلقه العظيم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف/ 199)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر/ 85)، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ وَلَا يَصْغُرُ لَهُمْ﴾ (النور/ 22).

آثار العفو:

- زهاب الحقد والضغينة: يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «تعاؤوا تسقط الضغائن بينكم».

- إقالة العثرة يوم القيامة: عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ أَقَالَ إِيَّاهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

- العزّة في الدنيا والآخرة: في الحديث: «مَنْ عَفَا عَنْ مَظْلَمَةٍ أَبَدَ لَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

- إطالة العمر: رُوِيَ: «مَنْ كَثُرَ عَفْوُهُ مُدِّدٌ فِي عَمْرِهِ».

- النصر: يقول الإمام الرضا (عليه السلام): «مَا التَقَتِ فِئَتَانِ قَطُّ إِلَّا نَصَرَ أَكْثَرُهُمَا عَفْوًا».

- النجاة من عذاب النار: في الحديث: «تَجَاوَزُوا عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ يَدْفَعُ اللهُ عَنْكُمْ بِذَلِكَ عَذَابَ النَّارِ».

- الوقاية من سوء الأقدار: عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «تَجَاوَزُوا عَنْ عَثَرَاتِ الْخَاطِئِينَ يَقِيَكُمْ اللهُ بِذَلِكَ سُوءَ الْأَقْدَارِ».

- مغفرة الله ورضوانه: من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَى فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفَى فَالْعَفْوُ لِي قَرِيبٌ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا، أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ؟».

وأخيراً، فإنّ الواحد منّا عندما يعفو ويصفح إنما يفعل الخير لنفسه ومع نفسه قبل أن يصل إلى الآخرين، لأنّ هذا الخير سيسجّل في صحائف مَن فعّله، ثمّ سيرى عاقبته الكريمة في الدنيا قبل الآخرة. فيرجع عفوه على نفسه في الدنيا رفعة وكرامة وفضلاً وإحساناً ومعروفاً وجمالاً وذكرًا حسنًا، ويرجع أيضًا عليه في الآخرة عفوًا من الله تعالى، ورحمة ومغفرة ورضا ونعيمًا مقيمًا.